

المنعطف الرقمي وميلاد ميتافيزيقا المعلومات

Digital turn and the birth of information metaphysics

د. رزاق لحسن

جامعة محمد لمين دباغين-سطيف2(الجزائر)، Amerhassan17@yahoo.fr

تاريخ الإستلام: 2022/09/07 تاريخ القبول: 2022/10/11

الملخص:

يهدف من خلال هذا المقال العلمي إلى فهم حقيقة ثورة المعلومات وتمظهراتها الشبكية العالمية، التي انطلقت تدريجيا مع تجربة الذكاء الاصطناعي ل آلان تورينغ، عبر استجلاء ملامح بنية الخطاب المعرفي، المسؤول عن انطلاق هذه التجربة واستمراريتها، والذي تمّ من خلال منهجية تحليلية مؤسّسة على مسعى إبستمولوجي ثلاثي الأبعاد: تاريخي/إنساني – علمي – فلسفي/فكري. وقد تبين أنّ المظهر الرياضي للاتصال، كان من البداية يستبطن مفهوم اللاوعي الإنساني، وأنّ ذلك شرعن -كمرحلة وسيطة – المضاهاة بين منظور التحليل النفسي والمنظور السيبرنيطيقي، وتأسيسا على الفلسفة اللغوية، فقد بات في الإمكان حسب خطاب معرفي خاص، اعتبار الإنسان نسخة رقمية في عالم متعدّد الأكوان.

الكلمات المفتاحية: المعلومات – اللاوعي – السيبرنيطيقا – ميتافيزيقا – ميتافرس.

Abstract:

Through this scientific article, we aim to understand the reality of the global information revolution and its global networking manifestations, which gradually began with Alan Turing's artificial intelligence experience, By exploring the features of the cognitive discourse structure, which is responsible for the launch and continuity of this experiment. It was carried out through an analytical methodology based on a three-dimensional epistemological endeavour: historical/human, scientific, philosophical/intellectual. It has been shown that the mathematical appearance of communication, from the outset, presinuated the concept of human unconsciousness, and that, as an intermediate stage, it became possible to match the perspective of psychoanalysis with the Cybernist perspective, and based on linguistic philosophy, it was possible, according to a special knowledge discourse, to consider man as a digital copy in a multi-universe world.

Key words : the information – Subconscious – Cybernetics – metaphysics – Metaverse.

مقدّمة:

في عام 1954 كتب "فريدريك براون" Fredric Brown قصة قصيرة جدًا سمّاها "إجابة¹"، شُغلّ فيها حاسوب عملاق على امتداد المجرة، وفور تشغيله سأل: هل هناك إله؟ فقيل: الآن صار هناك إله! وفي ذات السياق المعرفي، يأتي اعتقاد رائد الأعمال في الذكاء الاصطناعي، المهندس الأمريكي "أنطوني ليفاندوفسكي" Anthony Livandowski في هدف مقدّس، يتمثّل في بناء آلهة فائقة القدرة على الإجابة، وقد أصبح ليفاندوفسكي معروفًا بتأسيس "كنيسة طريق المستقبل"، المكرّسة لتحقيق انتقال سلمي، إلى عالم يُدار معظمه بواسطة آلات فائقة الذكاء (شودري، 2021).

يطرح هذا تصوّر من جهة أخرى – ولو ضمنا – فكرة تسليم أنفسنا للآلة، لتكنولوجيا المعلومات تحديدا وسحرها الخوارزمي، وهو التصوّر الذي يأتي في ركاب إزاحة جديدة للإنسان عن وجوديته المركزية، لكنّها في الحقيقة تبدو هذه المرة دون غيرها، إزاحة ذات خصوصية غريبة جدًا! فقد بات على الإنسان الذي لم يعد يمتلك قدسيةً تجعله مختلفا عن باقي الموجودات، أن يندمج وفقا لخصوصيته الإنسانية مع عالم البيانات، لتشكيل العالم الذي تتحكّم فيه قوانين الرياضيات.

إنّنا معنيون بعد تقديم هذا التصوّر، بالتساؤل حول حقيقة الخطاب المعرفي المسؤول تاريخيا عن ميلاد هكذا تصوّر، والمفاعيل البنوية التي يرسم من خلالها هذا الخطاب.

1- النظرية الرياضية للاتصال: إرهاصات ما بعد البنوية.

يُنظر إلى "آلان تورينغ" Alan Mathison Turing عالم الرياضيات والحواسيب البريطاني، كممثّل لما سُمّي "الثورة الرابعة"، وهي ذلك الانزياح الذي وقع على المستوى

¹تبدو الرواية والأدب المرتبط بالخيال العلمي غالبا كمؤطّر ومرشد لعمليات صناعة الواقع الافتراضي.

المعرفي، وفي السياق الحضاري الغربيّ تحديداً، بعد كلّ من "نيكولاس كوبرنيكوس" Nicolaus Copernicus، "تشارلز دارون" Charles Robert Darwin، "سيغموند فرويد" Freud Sigmund (فلوريدي، 2014)، حيث قام تورينغ سنة 1936 بابتكار مخطط بياني لآلة قادرة على معالجة المعلومات (ماتيلار، 2005، صفحة 71). لقد كان هذا الابتكار حلقة ضمن سلسلة أبحاث، بدأت بعد العقد الأول من القرن العشرين، ويُمكن القول بلا تردّد أنّها متعلّقة أساساً بعالم الأرقام أو الرقمنة، حيث يتمّ تمثيل الواقع الحيّ أو الملموس، بمجموعة من الرموز الخاصة (المرتبطة بالأرقام)، التي تعمل على إعادة إنتاج الواقع، لكن فترة الخمسينيات كانت حاسمة في هذا الشأن، وهي الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، وهي ذات الفترة التي ازدهرت فيها النواة التكوينية لعلوم الإعلام والاتصال، المتجلّية في:

- النظرية الرياضية للاتصال.

- السوسيولوجيا الوظيفية.

- الألسنية البنائية.

إنّ هذه النواة التي تظهر مشتتة للوهلة الأولى من الناحية المعرفية، هي في الحقيقة على درجة معتبرة من الارتباط العلمي، وذلك حين تكون البنية/النسق هي الأساس في تقييم الظواهر الكونية، هذه الظواهر التي يحتلّ فيها الاتصال (كظاهرة) موقعا عاليّ الخصوصية، وإذ يمكن استشفاف ذلك معرفياً، فإنّه يمكن القول وبلا مواربة أنّ هذه الحال لوضع الاتصال، قد تكون فعلاً هي المسؤولة عمّا أمسى وصفاً مزمناً لعلوم الإعلام والاتصال بالهشاشة النظرية، المتأّنية رأساً من حالة التشظي المعرفي لهذا العلم (أي علم الاتصال) الذي يقع - كما يوصف عادة - في مفترق/ملتقى طرق علوم عديدة.

إنّ تصوّر المرضى/الأدوائى لوجود علوم الإعلام والاتصال، قد رافقه تصوّر ثاني هو بمثابة الترياق المعرفي (غير الوحيد في هذا الشأن)، وهو ذاك الخاص بعملية التحاقل

أو التناهج، التي هي عملية ذات منطق إبستمولوجي مشهور ومتعارف عليه، مرتبط بجزئية تصنيف العلوم، ولذلك فلا غرابة أن تأخذ علوم الإعلام والاتصال بعضاً من المفاهيم الخاصة بحقل الرياضيات، وهذه الأخيرة تدعم بشكل مباشر وذائع الصيت حقل العلوم الفيزيائية، ولعلّ إحدى صوَر هذا الدعم، والتي تعيننا مباشرة هنا، هي تصميم وتحليل عمل الحواسيب الآلية، هذه الحواسيب التي تمّ إدماجها في عملية الاتصال، وبشكل خاص أول مرة مرتبط بشؤون الدفاع العسكرية الأمريكية، وفي هذا المضمار برزت دراسة المهندس الأمريكي "كلود إلود شانون" Claude Elwood Shannon، الذي نشر سنة 1948 دراسته التفصيلية بعنوان: النظرية الرياضية للاتصال.

لقد اقترح شانون من خلال نظريته المذكورة "بنية نظام عام للاتصال"، مكنونه الأساس هو إمكانية إعادة إنتاج رسالة ما، بطريقة دقيقة أو تقريبية، من نقطة مختارة إلى نقطة أخرى (ماتيلار، صفحة 70). وضمن رؤية شانون للاتصال برزت إلى عالم التنظير في علوم الإعلام مفاهيم عديدة على غرار: المعلومة، المصدر، القناة، التشويش، التشفير. هذه المفاهيم يمكن اعتبارها لحظات فارقة في ميلاد الإنسانيات الرقمية، فهي تؤرّخ - ربما- بوضوح أكثر لتزاوج/تسرّب ما هو آلي إلى ما هو إنسانيّ، وهي ذاتها (أي المفاهيم المذكورة) تمثل ذلك التمازج لمشكلة تفكّك نظام قصديّ يُحدثه الفرد، تحت تأثير الهيجان غير القابل للكبح للعالم الماديّ (مبيج، 2011، صفحة 17)، وفي هذا الصدد لا يجب أن نغفل الإشارة إلى "نوربرت وينر" norbert-wiener من خلال كتابه "السيبرنيطيقا أو المراقبة والاتصال عند الحيوان والآلة"، وقد عبّر "برنار مبيج" Bernard Miège عن فكر وينر من خلال ما كتبه "فيليب بروتون" Philippe Breton في هذا الشأن حول الإنسان التواصلي، الذي هو "كائن من دون سرير ولا جسد، يعيش في مجتمع بلا أسرار، كائن موجّه كلياً نحو الاجتماعيّ، ليس له وجود إلّا عبر المعلومة والتبادل، داخل مجتمع أصبح شفافاً بفضل الآلات المسهّلة للاتصال" (مبيج، صفحة 19).

إنّ هدف السيبرنيطيقا - في النهاية - مثلما يوضّح برنار مبيج، هو تطوير لغة وتقنيات تمكّنا من مواجهة مشكلة تنظيم أنواع الاتصال بصفة عامة، وكذا العثور على السجلّ الملائم من الأفكار والتقنيات، لترتيب تمظهراتها الخاصة حسب بعض المفاهيم (مبيج، صفحة 20)، ووفق هذا الأساس بالضبط تتلاشى أهمية المضامين تماما، وتصبح هامشية، ويتمّ التمرّكز حول الأشكال، هذا التمرّكز الذي يظلّ فيما يبدو يأخذ سنده المعرفيّ من المنظور الميكانيكي-الديكارتي، أين يحاول الوعيّ الإنسانيّ أن يُظهر فرض هيئته الكونية، لكنّه ويا للمفارقة يحمل وعلى نحو جنينيّ بذور فناء الوعي، وذوبانه كليّةً في محيط اللاوعي.

2- فلسفة اللاوعي:

إنّنا مدينون - في الواقع - بخصوص هذا العنوان (فلسفة اللاوعي)، للكاتب الألمانيّ "إدوارد فون هارتمان" Eduard von Hartmann، الذي نشر في عام 1869م كتابا تحت ذات التسمية، ولهذا يمكن اعتبار هارتمان أحد المصادر الفكرية التي انبثق عنها مفهوم اللاوعي، وضمن هذه المصدريّة يُشيد هارتمان بمن اعتبرهم سابقه في هذا المضمار الفكريّ، وهم: "شيلينج" Schelling و"هيجل" Hegel و"شوبنهاور" Schopenhauer (أوليفيرا، 2020، صفحة 150).

لقد كانت لفظة "اللاوعي" مطلع القرن العشرين، لفظة جديدة اهتمّ بها سيغموند فرويد، وتوحي هذه اللفظة الجديدة، المشتقة من الكلمة الألمانية agnoszierung (بمعنى اللادارية أو الحياد الدينيّ) بطابع دينيّ أو مقدّس، يميّزه اعتقاد قويّ يرتبط سلفا باللاوعي، وبينما يرى هارتمان أنّ اللاوعي ينتهي إلى الميتافيزيقا وليس له تمثيل زميّ، يُبقي فرويد على هذه السّمة الأخيرة، لكنّه يحولها إلى مفهوم ميتاسيكولوجي (أوليفيرا، صفحة 149، 150).

إنّ ملاحظة مبدئية/أولية ستجعلنا الآن ندرك الأصل المعرفي، الذي يتغذى عليه مفهوم اللاوعي، ويمكننا وصولاً إلى هذه المرحلة من التحليل، استخلاص المعنى الخفي والعميق الذي يمنح الشرعية الاستخدامية على الصعيد الاصطلاحي لكلمة اللاوعي.

إنّ اللاأدرية ستكون بمثابة خيط أريانا الذي سيأخذنا ضمن دهاليز معرفية محدّدة؛ كيما نشخّص على نحو أقرب إلى الدقّة بنية الاتجاه الإستيمولوجي، الذي ينطق عنه الخطاب الفرويدي فيما يرتبط بمسألة اللاوعي. وقد اتضح سريعاً أنّ دلالات الحياد ونزع القداسة، تؤدّي أدواراً مركزية ضمن الخلفية المعرفية لفكرة اللاشعور، لاسيما وفق ما طُرحت عليه من طرف فرويد. ولا غرابة في ذلك طالما أنّ فرويد ذاته، قد وصف نفسه بأنّه أحدُ ثلاثة طعنوا نرجسية الإنسان (المسيري، 1999، صفحة 443)، وتطفح الأدبيات التي نراجعها في هذا الشأن بإسسي "كوبيرنيقوس" و "داروين"، كسابقين لسيغموند فرويد في إزاحة الإنسان عن مركزيته الكونية/الوجودية، فكوبيرنيقوس قد أزاح الأرض عن مركزيتها في نظام الكواكب، ودارون قد ألغى - في اعتقاده - تميّز الإنسان لا عن سائر الحيوانات فحسب، بل عن سائر المخلوقات، فمع دارون - إذن - ظهرت هوية جديدة للإنسان، وهذه الهوية الجديدة كانت بمثابة النموذج القياسي الإرشادي، الذي بحث ضمنه فرويد في الهوية النفسية للإنسان.

لقد درس فرويد في كليّة الطب، ومارس التشريح والفيسيولوجيا في معمل أستاذه "بروكه" brucke، واعتنق مبادئ مدرسة "هلمهولتز" Helmholtz فيما يشبه الاعتناق الديني، الذي مؤداه أنّ كلّ شيء يمكن اختزاله في قوّة فيزيقية من الشدّ والجذب (زيور، 2002، صفحة 101)، وفي ذات الإطار المعرفي كان فرويد متحمساً لترسيخ أوراق الاعتماد العلمية للتحليل النفسي، ولم يتوقّف قطّ عن مقارنة التحليل النفسي مع العلوم ذات الثقل، وإذا لم تكن المقارنة مع الفيزياء فهي إذن مع الرياضيات، حيث يقول: "التحليل النفسي في الواقع هو طريقة للبحث، أداة محايدة، مثل حساب التفاضل والتكامل"

(فاينريت، 2019، صفحة 298). في الحقيقة لا يمكن أن يُؤخذ هذا القول على أنه نزعة داروينية خالصة؛ ففيه من الكوبرنيقية الكثير، فقد شارك الكوبرنيقيون في الحركة التي تعاملت مع الطبيعة ككيان رياضي مجرد، يتبع علاقات قابلة للقياس تشبه القوانين (فاينريت، صفحة 281)، وسمّة هذه العلاقات أنها مجردة ومتجاوزة وموضوعية في الآن ذاته، ونقدّر أنه في ذات السياق يأتي ما كتبه "أفلاطون" Plato في "الجمهورية" من كون "الهندسة هي علم معرفة الأبدية، وليس الهالك والعاور"؛ لتصبح الرياضيات بابا لولوج الحقيقة المطلقة، والتي إن دخلتها يمكن أن تصل إلى حقيقة الوجود (هلال، 2018).

تتجلى حقيقة الوجود – وفق الأطر المعرفية التي نسعى في تحليلها – فيما يسمّى "ذات النسق"، وهو تعبير يظهر معناه بالضدّ من معنى "الذات الفردية" أو "الأنا التجريبية/الإمبريقية"، وهي ذات الأنا التي يُرجّح أنّ "ديكارت" Descartes اهتمّ بها، وعارضه في ذلك كلّ من شيلينج و هيغل؛ حيث حوّر الكوجيتو المشهور لتصبح عبارة "أنا أفكر"، تعني بتعبير شيلينج: هناك أمر ما بداخلي يُفكّر (الشيخ، 2008، صفحة 67)، هنا نكون قد عدنا سريعا - مثلما يتّضح – إلى مصدر وأصل "فلسفة اللاشعور"، متجّلّيا في مفهوم "ذات النسق"، الذي يقوم على حمولة رياضية خالصة، وهي حمولة مرتبطة في الخطاب المعرفي الإغريقي/اليوناني بالمبدأ الأبولوني Apollonian، الذي هو مبدأ النظام وإعطاء الشكل، لكن وجه الغرابة المنطقية أنها غالبا ما تمتدّ – في ذات الخطاب – إلى المبدأ الديونيسي Dionysian، الذي هو مبدأ الفوضى والسكر والأحلام، فاللاشعور بما هو نسق/بنية يقود في أحيان كثيرة من الناحية السلوكية إلى مظاهر "هستيرية" فعلا، وهنا تظهر مصدرية شوبنهاور الفكرية للمصطلح محلّ التحليل، ليس هذا فقط، بل يظهر كذلك المسوّغ المعرفي لاستخدام كلمة "المابعد" Post في كثير من الصياغات الخطابية الغربية، إنّها كلمة فضلا عمّا تحمله من دلالات عميقة في علوم الاتصال، فهي تدلّ كذلك من الناحية الفكرية والحضارية على أنّ ما نسمّيه تحصيل الحاصل، كان

يحضر باستمرار في حكم المتقدم على ما هو حاصل فعلا، ونعتقد أنّ ذلك هو نتيجة متوقّعة للمنطوق البنيوي المتطرّف للخطاب الحدائي الغربي، وسيتضح ذلك أكثر حينما نعالج بشيء من التحليل ضمن أدبيات ذات الخطاب المسألة اللغوية.

3- التحليل النفسي والسيرنيطيقا: فينومينولوجيا اللغة.

إذا جاز لنا في البداية أن نتساءل عن ماهية اللغة، فإننا مرحليا سنكون مضطرين بشكل ما، وتبعاً لسياق مجهودنا التحليلي، إلى الإجابة وفق طرح فرويدي مضاعف، وهو الطرح الذي قرّره "جاك لاكان" Jacques Lacan، وتضمّن إعادة إنتاج خاصة جدّا، وغامضة نوعاً ما للمنظور الفرويدي، ويتعلّق الأمر في الغالب بالمنزلة الإبتيمولوجية للتحليل النفسي، حيث "يرى لاكان أنّ نظرية فرويد بمثابة ثورة كوبرنيقية، ليس فقط بمعنى أنّها غيّرت وضع الإنسان في الكون، بإزاحة مركز الإنسان بعيداً عن ذاته، ولكن أيضاً بمعنى أنّها أثّرت تأثيراً أساسياً على معنى الفيزياء، (ومن ثمّ على المفهوم الحقيقي للكون) (فورستر، 1999، صفحة 52 53). إنّ التأثير الذي يشير إليه لاكان – والذي يبدو أنّه استخرجه بمهارة خاصة في تقديره من غياهب تفكير فرويد – يكمن حصراً في علاقة الإنسان بالرمز.

لقد اشتهر لاكان فعلاً بثلاثيته: الرمزي- الخيالي- الواقعي، و"الرمزي هو شكل اللغة، الشكل النسقي الأساسي، وهو ما يدعوه لاكان بـ التوحيدي combinatorial .. ويتشكّل من الوجود الحقيقي للرمز، والمعنى هو حقيقة أنّ الإنسان ليس سيّد هذه اللغة البدائية كما يقول لاكان؛ لقد تمّ إلقاؤه فيها.. الإنسان ليس سيّداً في بيته، ثمّة شيء يندمج فيه، ويحكم بالفعل من خلال توافقاته.. ينهمك الإنسان بكلّ وجوده في موكب الأرقام، في ترميز بدائي.. وفي وسط ذلك، علينا أن نتعرّف على شيء ما في الإنسان (فورستر، صفحة 53 54). يُحيلنا هذا السرد اللاكاني (نسبة إلى لاكان) مرّة أخرى إلى فكرة "ذات النسق" في مقابل "الأنا الامبريقية/التجريبية"، ويُحيلنا كذلك ولو على نحو

ضمّني إلى مسألة مفصلية أنطولوجيا، هي ماهية الإنسان! فكأنّ السؤالين: ما هي اللغة؟ وما هو الإنسان؟ يُفضيان إلى بعضهما البعض من الناحية الأنطولوجية. ولعلّ هذا الانسجام الأنطولوجي يتجلّى في أنصع صوره المعرفية، من خلال الإجابة التي تقدّم بها "مارتن هايديجر" Martin Heidegger عن ماهية اللغة، حيث ذهب إلى أنّ "ماهية اللغة هي لغة الماهية" (بغورة، 2005، صفحة 60)، وقد كان هذا المنظور الوجودي للغة أحد محاور اللقاء الثاني الفرنسي-الألماني، الذي عُقد بتاريخ 17 مارس 1929، في دافوس بسويسرا، وكان موضوعه "ما هو الإنسان؟" وحضرته شخصيات علمية وثقافية، أبرزهم الفيلسوف الألماني مارتن هايديجر (بغورة، صفحة 61).

إنّ التفكير الوجودي في اللغة، قد يكون صلة الوصل التي من شأنها إزالة الغموض، الذي يظلّ - في تقديرنا - لصيقا بالشرح الذي قدّمه جاك لاكان للتحليل النفسي الفرويدي، والذي قرّر فيه أنّ نظرية فرويد قد أثّرت في المفهوم الحقيقي للكون، أين يحتلّ "الرمز" الموقع المركزيّ ليس ضمن هذا المفهوم فقط، بل في حقيقة الكون نفسه، من خلال ما يسمّيه لاكان "قانون الدال"، وهكذا يُفصح لاكان عن تفكير بنيوي محض، لاسيما وأنّه صاحب التعبير: "مبني كاللغة"؛ فلا بنية إلّا للغة أو باللغة، وفي ذات السياق هو صاحب المقولة الشهيرة: "إنّ بنية اللاوعي شبيهة ببنية اللغة" (ستروك، 1996، صفحة 171-178). ولعلنا الآن وبعد أن وصلنا إلى هذا المستوى من التحليل، أكثر جهوزيّة لتوضيح حقيقة خاصة ضمن ما قد نسمح لأنفسنا بتسميته "المنعطف اللغوي"²، الذي ظهر وفق ما نقدّر في محاضرة قدّمها جاك لاكان بعنوان: التحليل النفسي والسيبرنيطيقا أو عن طبيعة اللغة. لقد كانت هذه المحاضرة بمثابة العلامة الفارقة في سلسلة الملتقيات التي كان يُنجزها لاكان، شارحا للتحليل النفسي الفرويدي، وكانت تحت عنوان محوريّ

² يرد مصطلح المنعطف اللغوي عادة منسوباً إلى نيتشه Friedrich Wilhelm Nietzsche، الذي وردت عنه مقولة: ليس هناك حقائق؛ هناك فقط تأويلات.

واسع هو "نظرية الآلة والتواصل والسيرينيطيقا"، وكان ذروة ما ذهب إليه جاك لكان في هذا الصدد، وهو يسعى إلى مضاهاة التحليل النفسي بالعلوم الدقيقة، حديثه عن الجدارة بالاحترام التي تحتفظ بها العلوم الدقيقة، نتيجة العي - حسب وصفه - الذي يقود الإبستمولوجيا إلى التغاضي عن علاقة الإنسان الحاسمة بالرمز (فورستر، صفحة 51).

تتوطّن فكرة جاك لكان عن اللغة وعن الوجود - كما يبدو - في العلاقة بين الإنسان والرمز، وقد وصفها (أي العلاقة) بالحاسمة، وهو ما يشي على الأقل في تقديرنا بنسقية صارمة لا تقبل الارتياح، وقد عبّر عن ذلك مثلما أوردنا أنفاً حول الرمزيّ بكلمة "توحيديّ combinatorial"، وإنّا في الحقيقة نستشّف من هذه الكلمة روح الحلم الذي راوّد "لودفيج فون برتالانفي" Ludwig von Bertalanffy، فهو المعروف بتأسيسه لـ "نظرية الأنظمة"، وإذا كانت هذه الأخيرة معنية مباشرة بميدان البيولوجيا أو الإيكولوجيا عموماً، فإنّ البيولوجيا حصراً يمكن اعتبارها من الناحية الإبستمولوجية، الحاضنة الفكرية لميدان التحليل النفسي والنموذج النسقيّ بشكل عام، وهنا يمكن الحديث عن اختلاف مفصليّ بين برتالانفي و جاك لكان ينطلق من اتّفاف جوهريّ! أمّا الاتفاق فيقع من الناحية المبدئية على فكرة النظام، وهو النظام الذي يمثّل مرجعية نفسه، ولا يخضع لأيّ قوّة متجاوزة، وفي هذا التزام صريح وضمنيّ في الآن نفسه، بالعقد الديكارتيّ الحداثيّ، وأمّا الاختلاف - في اعتقادنا - فممكنه فيما ذهب إليه برتالانفي، من ممانعة لهيمنة النموذج الفيزيائيّ على النموذج الحيويّ (البيولوجي)، وفي هذا فقد سعى (أي برتالانفي) إلى منح الفرادة للنموذج الإنسانيّ؛ إدراكاً منه للفرق بين الأنظمة الفيزيائية والأنظمة البيولوجية، وقد ابتكر لأجل ذلك فكرة "الأنظمة المفتوحة" كمخرج تفسيريّ، يستبطن الفكر الإيكولوجي أكثر ممّا يسترشد من النموذج الخطيّ الميكانيكيّ للعلم الحديث (مصطفى، 2020، صفحة 13) وهذا يكون برتالانفي قد استبعد إلى حدّ

ما السيبرنيطيقا كقاعدة إرشادية للفهم الإنسانيّ، وهي القاعدة التي تجعل الإنسان والآلة على قدم المساواة، وفق منطق دوائر التغذية الراجعة³، في حين أنّ مفهوم نظرية الأنظمة يتمثّل في التفاعلات المتبادلة ضمن نظام متعدّد المتغيّرات (مصطفى، صفحة 94).

رغم الاختلاف الحاصل بين السيبرنيطيقا ونظرية الأنظمة كما تمثّلها بيرتالانفي، فإنّ مشتركهما الأساسيّ ذو دلالة خاصة، فيما يرتبط بالمعنى الذي يقرّه المنظور الوجوديّ للغة، وللمفارقة الشديدة جدّاً، فإنّه معنى يُفارق المعنى وينفر منه بشدّة! فإذا قرّرنا من بداية أنّ المشترك بينهما هو مفهوم البنية/النظام، حيث تسترقد منه السيبرنيطيقا مفهوم العلاقة وتستجلي منه نظرية الأنظمة مفهوم الوظيفة، فإنّ صمّام أمان اشتغال البنية/النظام هو المعلومة. ويُمكننا هنا القفز سريعاً على أية خطوات إجرائية (بروتوكولية) لتحديد مفهوم المعلومة، فهذه الأخيرة لا تعني هنا سوى "الإضافة الكمية"⁴، وهي طبعا الإضافة الحافظة للتوازن؛ إنّه ببساطة المنظور الذي يقسم الكون إلى مجموعة شفرات، تنتظم آلياً لتحقيق الوجود، فالوجود في النهاية إذن يخضع لسلطة الرمز، أو أنّ الوجود ذاته هو الرمز.

4- الهوية المعلوماتية للإنسان: مفهوم اللانهاية (∞).

بإمكاننا القول أنّ ما سُمّي "ثورة المعلومات" شكّل - وسيشكّل أكثر - ذروة الإزاحات للإنسان عن مركزيته الوجودية، وذلك للطبيعة الجوهرية أو الماهوية لهذه الثورة، والتي لا تنفصل في تقديرنا عن ماهية سابقاتها من الثورات (الإزاحات)، التي وصلنا أصلاً إلى هذه المرحلة من التحليل، عبر محاولات مستفيضة نسبياً لفهم حقيقتها، وهي حقيقة واحدة نشأت عن محاولات مستمرّة في العالم الغربيّ، للتخلّص من الميتافيزيقا الأرسطية.

³ من هذا المنطلق توطّن مفهوم رجع الصدى ضمن نماذج الاتصال.

⁴ ننطلق هنا من المفهوم الرياضي للمعلومة، حيث ستضخ حقيقته وأبعاده بمزيد من العمق التحليلي.

لقد كان لهذا الوضع أثره الوازن في ميلاد الحداثة (الغربية)، التي تُوجت في مرحلة متقدمة من التاريخ الغربيّ بما أسمى "الثورة الصناعية"، التي مهّدت بدورها لقدم "ثورة المعلومات"، لكن المفصليّ هنا هو الاختلاف بين الطبيعة الدقيقة لكلا الثورتين؛ حيث ظلت تبرز مع الثورة الصناعية الأشياء الفريدة، في حين أنّ "نماذج الأشياء" هي السمة البارزة لثورة المعلومات (فلوريدي، صفحة 21). تأخذنا فكرة النمذجة لتضعنا في القلب من ظاهرة الاتصال، وذلك من أوجه عديدة ومتعددة، وأول الأوجه هو حصول إمكانية استحضار الأشياء من خلال الرموز التي تمثّلها، وقد فتح هذا المبدأ في الاتصال⁵ أفقا في حياة الإنسان، يمكن وصفه ودون تردّد بالغريب جدّا، ويمكن أن نستشفّ بدايةً الغرابة في هذا الشأن من خلال السؤال الذي طرحه آلان تورينغ، وناقشه ضمن ورقته البحثية عام 1950م تحت عنوان: "آلات الحوسبة والذكاء"، لقد كان السؤال: هل تستطيع الآلة أن تفكر؟ (دويتش، 2016، صفحة 161).

وعلى إثر هذا السؤال، الذي يبدو أنّه كان إشارة انطلاق صريحة، لميلاد ميتافيزيقا جديدة (وغربية) لتفسير الوجود، وضع تورينغ ما أسمى يُعرف فيما بعد بـ "اختبار تورينغ"، وهو طريقة خاصّة في التحكم، بغرض التفريق إن أمكن بين مخرجات ذكاء إنسان وبرنامج آلي، هذا الأخير الذي بات يُعرف بالذكاء الاصطناعي. وهكذا يتضح أنّ الابداع الاصطناعيّ قد انطلق من مبدأ خالص ودقيق جدّا للاتصال، مستندا على النظرية الرياضية؛ حيث تؤدي الرموز الدور الحاسم في استيلاء الأشياء، هذا الاستيلاء الذي له سمة اللاهائية، بما تفرضه الطبيعة البنيوية لعالم الرموز (اللغة).

إنّ الطبيعة البنيوية لعالم الرموز، وفق طريقة خاصة للتفكير ظهرت وتمكّنت في سياق الحضارة الغربية، تُحقّق مبدأ شاملا في الاتصال، يتمثّل في اللانهاية أو اللامتناهي، وفق استدلالات قد تختلف سياقيا، وقد اشتهر انشغالا بهذه المسألة الفيلسوف اليونانيّ

⁵ مبدأ الاتصال أشبه بما هو كلّ لفهم الظاهرة (الاتصالية) وبالتالي تأسيس العلم الذي يدرسها.

"زينون الأيلي" Zénon d'Élée، إثر مفارقتها المترتبة عن السباق المفترض، المنعقد بين آخيل والسلحفاة التي تنطلق قبله، وتظل متقدّمة عليه في تقدير زينون، رغم أنّ آخيل يسبقها في الميدان.

إنّ مفارقة زينون ستجعلنا نكتشف فيما بعد، الحدود التي من المفترض أن تتوقّف عندها تكنولوجيا الاتصال؛ نظرا لحالة من التفاوت المعرفي تقع بين المسألتين الرياضية والفيزيائية، لكن المفارقة المذكورة فتحت باب النقاش العقلانيّ، حول مسألة معرفية يبدو أنّها فرضت نفسها تدريجيا، وصولا إلى العصر الذي نعيشه الآن، ويبدو أنّ "غاليليو غاليلي" Galileo Galilei من خلال كتابه "علمان جديان" بين العامين 1636م و 1638م، قد أعطى الانطلاقة الفعلية في السياق الغربي ضمن إطار الإزاحة الكوبرنيقية، للتفكير بجديّة في مسألة "اللانهائي". ولا نعرف حق المعرفة إن كان غاليليو قد وعى فعلا، أنّه إنّما كان يُقرّر مذهبا في الاتصال ستكون له تداعيات كونية، فقد اتضح أنّ إشكالية حساب اللانهائيّ يجب أن تُحال على الهندسة؛ لتلافي كثير من التعقيدات التي قد تعلق بالذهن إزاءها، وهذه الحالة ستجعلنا نفرّق بين اللانهائيّ كمسألة رياضية، وبين الحجم كمُعطى هندسيّ.

إنّ دخول الهندسة على خط فهم واستيعاب اللانهاية، هو مسألة صميمية في الاتصال؛ حيث تبرز هنا سريعا آلية التمثيل أو التمثّل، وهي الآلية التي تجعلنا ننسخ الأشياء من خلال نماذجها الرمزية، فكم يا ترى بإمكاننا أن نوَقّر من نسخ للشئ الواحد والأشياء الكثيرة؟ لا شكّ أنّ الإمكانية النظرية وحتى الميدانية تقول أنّه عدد لا نهائيّ، وهذا الأخير المرتبط - على نحو - بالهندسة، تمّ تمثيله من خلال رمز خاص وهو: ∞ ، الذي يسمّى رياضيا "منحنى العُروتين"، وهو لفظ مشتقّ فيما يبدو من كلمة إغريقية بمعنى "الشريط"، وقد أُدخل هذا الرمز إلى الرياضيات على يد "جون واليس" John Wallis عام 1655م، عندما استخدمه في كتابه "حساب اللانهائيّ" (والاس،

2017، صفحة 43). ثم وصلت أعمال جون واليس إلى "إسحاق نيوتن" Isaac Newton ، ويبدو أن قراءته لها أعطته دفعا لابتكار حساب التكامل والتفاضل في الرياضيات، وقد كانت لـ "غوتفريد ليبنيتز" Gottfried Leibniz مساهمته الخاصة في هذا الشأن.

يُنْبُونَا حساب التكامل والتفاضل عن وجود قيم متناهية في الصغر، يمكن استشفاف حركتها وتمثيل ذلك فيزيائيا، على نحو ما تسمح به الظروف الفيزيائية، ويمكن أن نستجلي في هذا المضمار خصوصية وتميزا لعلوم الحاسوب، من حيث تموقعها بين ما هو رياضي وما هو فيزيائي؛ فكأنها في نزوع تدريجي من البداية إلى فك القيود الفيزيائية عن الحركة اللانهائية لما هو رياضي، وهو نزوع لا يتم في الواقع إلا من خلال التقدّم الحاصل في علوم الفيزياء، وتقطف ثمرته بشكل فعّال وباعث على الانهار علوم الحاسوب.

لقد بدأ التبرير العلمي حول معقولية اللانهائي رياضيا مع "جورج كانتور" Georg Cantor ، وتمّ ذلك من خلال فكرة التناظر (دويتش، صفحة 181)، التي تُتيح ربط عنصر ما ضمن مجموعة أعداد، بنظير له ضمن مجموعة مقابلة، وهكذا يتحقّق "مبدأ الاتصال" من جديد؛ الذي يُترجم نفسه بواسطة الدالة، التي تتمثل في تعريف شيء ما بشيء آخر، ضمن نظام محدّد من العلاقات. يمكن أن نفهم الحواسيب وفق هذا الملمح الرياضي/الاتصالي؛ فهي تعمل بنظام المدخلات والمخرجات، وبالتالي فهو النظام الذي يركّز على عالم الدوال الرياضية، فينسخ لنا عددا لا نهائيا من الأشياء. إنّ الحواسيب إذن وفق هذا التحليل المعرفي، هي عالم مواز للواقع الملموس قائم على المحاكاة، هذه الأخيرة التي تتحقّق عبر مبدأ التناظر.

يبدو مبدأ التناظر (كمبدأ في الاتصال) بسيطا وخاليا من التعقيد للوهلة الأولى، لكنّ التعامل مع كيانات دقيقة جدّا، وذات ارتباطات وحركة مستمرة، يجعل المسألة أكثر تعقيدا ممّا نظن؛ ووجاهة ذلك تكمن في أنّ التعامل مع مبدأ التناظر والمحاكاة بات

يُفهم من خلال "نظرية الكم"⁶، وهي المعرفة الفيزيائية الجديدة، التي أخذت على عاتقها تقديم التفسير الأكثر معقوليّةً لحركة الجسيمات متناهية (أو لامتناهية) الصّغر. لكن معقوليّة هذه المعرفة الجديدة (نظرية الكم)، يبدو أنّها ستكون بعد قليل على المحكّ؛ لقد اقترحت تقديمًا غريبًا إلى حدّ ما للعالم كواقع ماديّ مباشر، وسَمّي: الوجود المتعدّد الأكوان. ظهرت بوادر ذلك مع الفيزيائي النمساوي "إرفينغ شرودينغر" Erwin Schrödinger، ثمّ جاء الفيزيائي الأمريكي "هيو إفريت الثالث" Hugh Everett III، ليقدّم أول تفسير لما سُمّي "العوالم المتعدّدة".

نحن إذن (كإنسانية أو كوجود عام) موجودون وفق ارتباطات دقيقة جدًّا، قد تجعلنا نسخًا متماثلة ضمن فضاءات متغيرة ومؤثّرة في بعضها البعض، وهي حالة من "التشابك القائم على المعلومات الكامنة في كلّ شيء ينتهي إلى الوجود المتعدّد الأكوان، التي تحدّد أيّ أجزائه (نُسخه) تستطيع التأثير على أيّ الأجزاء في الأشياء الأخرى، المنتمية إلى الوجود المتعدّد الأكوان (دويتش، صفحة 277). تلقى هذه الافتراضات الرياضية-الفيزيائية التي طوّرت باستمرار، رواجًا لها ضمن تكنولوجيا الاتصال الحديثة من خلال مصطلح "ميتافرس" Metaverse، الذي يبدو أنّه صيغ أول مرّة خلال العام 1992، من طرف الكاتب الأمريكي "نيل ستيفنسون" Neal Stephenson، في روايته الشهيرة "تحطّم الثلج" snow crash، أين يبرز الواقع الافتراضيّ الشبيه حدّ المطابقة مع الواقع الحقيقيّ (المادي الملموس)، ويتفاعل الناس فيه ممثّلين عبر ما يُسمّى "الأفاتار" avatar⁷.

يُعبّر الواقع الافتراضيّ عن تقدّم مُذهل حقًا في عالم تكنولوجيا الاتصال، ويرتكز على الجيل الثالث (3.0) من شبكة الأنترنت، وهو يُعبّر بكثافة عن مرحلة ثورة البيانات أو المعلومات، لكنّنا مضطّرون إزاء هذه الثورة العجيبة حتى بمعايير المعرفة العلمية، أن

⁶ هنا نستذكر ألبرت أينشتاين Albert Einstein، ومقولته: إنّ الله لا يلعب التردّ.

⁷ يمكن للقارئ أن يكتشف ببساطة الأصل الهندوسي للكلمة.

نطرح مسألة "محدودية التشبيك"، المتجلىة بشكل بارز في مدى قدرة الفيزياء على دعم قوانين الرياضيات، وحتى لا نعود أدراجنا لمناقشة المسألة وفق مفارقة زينون الأيلي، فإننا سنعرضها هذه المرة بشكل أكثر حداثة وواقعية، وذلك من خلال "قانون مور"⁸ Moore's law، الذي يُحيلنا إلى التأثير العميق للظواهر الرقمية على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وتبعاً لهذا فإن سرعة وسعة تخزين وحدة المعالجة المركزية للحاسوب، يتضاعف كل عامين منذ سنة 1958، ووفق هذا المعدل أيضاً يتضاعف عدد الترانزستور على الدوائر المدمجة، ومن ثم فإن حجم كل ترانزستور على شريحة دائرة مدمجة، سيقُلّ بنسبة 50% كل عام (سيل، 2017، صفحة 29)، وقد تنبأ كثير من العلماء على مدى عقدين ماضيين بالنهاية الوشيكة لقانون مور، وصرحوا بوجود قيود فيزيائية جوهرية أمام عدد الدوائر الصغيرة التي يمكن ضغطها على الشريحة الواحدة، قبل أن يتسبب تسرب التيار وتراكم الحرارة المرتبط به، في إخفاقها في أداء الوظيفة المصممة لأدائها (سيل، صفحة 39). وهكذا تتجلى محدودية الواقع المادي الحقيقي، أمام جُمُوح خيال الواقع الرقمي الافتراضي، رغم الاكتشافات التي أطالت وتُطيل في عمر قانون مور، والمتعلقة غالباً بتكنولوجيا النانو، والمعادن الضرورية لصنع أدق الدوائر المدمجة على شرائح المعالجة المعلوماتية.

خاتمة: المصفوفة كميّات فيزيقا⁹.

مما سبق معنا، يتبين أنّ ثورة المعلومات لم تكن فلتةً على صعيد تطوّر الفكر الإنساني؛ لقد كان هناك ارتباط بنيوي وثيق بين القديم والجديد، والفرق الوحيد يتجسّد في تراكمية الثقافة الإنسانية، وبالمنى الفينومينولوجي، فإن الخطاب العلمي الحديث له منطوق بنيوي موحد إزاء الطبيعة الجوهرية للواقع، فإذا كان الأخير يقوم

⁸ نسبة إلى جوردن مور Gordon Moore، المؤسس المشارك والرئيس الفخري لشركة إنتل.

⁹ كان هذا عنواناً وضعه دافيد ج شالمس، وهو لأحد فصول مؤلّف جماعي تحت عنوان الخيال العلمي والفلسفة، وقد اقتنصنا الفكرة لنثبّت بها أركان البناء التحليلي الذي أقمناه بخصوص ميتافيزيقا المعلومات.

بالفيزياء، أو أنّ الفيزياء تقوم على أساسه، فإنّ العمليات الفيزيائية حسابية من الناحية الأساسية، وهو الطرح الذي جاءت في ركابه النظرية الرياضية للاتصال، مع كلود شانون وأستاذه وينر.

إنّ المنظور الرياضي يولي أهمية خاصة للمدخلات والمخرجات، وهو ما دفع إلى وضع المحّ الإنسانّي في مقام حاسب آليّ، يتفاعل مع محيطه من خلال الرموز، فالرموز تصنع الواقع، والواقع في حقيقته رمزيّ، وهذه هي فرضية المصفوفة (matrix) كفرضية ميتافيزيقية، وهي فرضية تقدّم نوعاً من الأسطورة الفلسفية القديمة، عن اختبار محّ مُحرّر من الجسد (شالمرس، 2011، صفحة 61)، ويبدو أنّ أثر القديم لا نجده هنا فقط، فهناك في رواية تحطّم الثلج لصاحبها ستيفنسون، استلهاً من الأساطير السومرية القديمة. وغير بعيد عن القديم أيضاً، يمكننا فهم فرضية المصفوفة ممّا قدّمه الفيلسوف الموسوعيّ الإيرلنديّ "جورج بركلي" George Berkeley، حول لا مادية الواقع¹⁰، وبدا حينها طرحاً غريباً جدّاً، وقوبل بسخرية ومناهضة شديدة. ومُلخّص ما يُمكن فهمه عن باركلي، أنّه لا واقع خارج العقل، وأنّ الواقع برمته (والذي نحن جزء منه) ما هو في الحقيقة سوى تجسّد لعقل أسمى¹¹، وهو طرح شبيه بما ستأخذنا إليه فكرة الأفاتار في عالم الميتافرس.

المراجع:

1. إبراهيم هلال. (06 أوت، 2018). الرياضيات لغة العلم أم الفلسفة والدين. تاريخ الاسترداد 28 أكتوبر، 2018، من ميدان- الجزيرة: <http://midan.aljazeera.net>
2. آرمان وميشال ماتيلار. (2005). تاريخ نظريات الاتصال (الإصدار 1). (نصر الدين لعياضي والصادق رايح، المترجمون) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

¹⁰ أشار دافيد ج شالمرس إلى ذلك، أنظر المرجع السابق.

¹¹ والأرجح أنّ العقل الأسمى هو الربّ في أدبيات "التنوير" التي سعت إلى إيجاد مخرج معرفي لمأزق الإلهية في الفكر الغربي.

3. الزواوي بغورة. (2005). *الفلسفة واللغة* (الإصدار 1). بيروت: دارالطليلة.
4. بيتر بي سيل. (2017). *الكون الرقمي: الثورة العالمية في الاتصالات*. (ضياء وزاد، المترجمون) المملكة المتحدة: مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة.
5. بيرنار مبيج. (2011). *الفكر الاتصالي من التأسيس إلى منعطف الألفية الثالثة* (الإصدار 1). (أحمد القصور، المترجمون) المغرب: دار توبقال.
6. جون ستروك. (1996). *البنوية وما بعدها من ليفي ستراوس إلى دريدا*. (محمد عصفور، المترجمون) الكويت: عالم المعرفة.
7. جون فورستر. (1999). *إغواء التحليل النفسي: فرويد ولاكان ودريدا*. تأليف عبد المقصود عبد الكريم، *جاء لاكان وإغواء التحليل النفسي* (عبد المقصود عبد الكريم، المترجمون، الصفحات 13-73). مصر: المجلس الأعلى للثقافة.
8. دافيد ش شالمرس. (2011). *المصوفة كميثافيزيقا*. تأليف سوزان شنايدر، *الخيال العلمي والفلسفة: من السفر عبر الزمن إلى النكاء الفائق* (عزت عامر، المترجمون، الإصدار 1، الصفحات 61-90). القاهرة: المركز القومي للترجمة.
9. ديفيد دويتش. (2016). *بداية اللانهاية* (الإصدار 1). (دينا مصطفى، المترجمون) القاهرة: مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة.
10. ديفيد فوستر والاس. (2017). *كل شيء وأكثر: تاريخ موجز لللانهاية*. (بيومي بيومي، المترجمون) المملكة المتحدة: مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة.
11. سوميت بول شودري. (30 جانفي، 2021). *آلهة الغد: ما مستقبل الدين؟ تاريخ الاسترداد 07 ماي، 2021*، من أثاره: <http://www.atharah.com>
12. عادل مصطفى. (2020). *صوت الأعماق: قراءات ودراسات في الفلسفة والنفس*. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة.
13. عبد الوهاب المسيري. (1999). *موسوعة اليهود واليهودية* (الإصدار 1، المجلد 3). القاهرة: دار الشروق.
14. فريدل فاينزيت. (2019). *كوبيرنيكوس ودارون وفرويد ثورات في تاريخ وفلسفة العلم*. (مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، المحرر، و أحمد شكل، المترجمون) المملكة المتحدة.

15. لوتشانو فلوريدي. (2014). *المعلومات مقدمة قصيرة جدا* (الإصدار 1). (محمد سعد طنطاوي، المترجمون) مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة.
16. لويس دي أوليفيرا. (2020). *اللاوعي*. تأليف روزين بيرلج، فريد قراءة عصرية (زياد إبراهيم، المترجمون، الإصدار 1، الصفحات 149-167). المملكة المتحدة: مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة.
17. محمد الشيخ. (2008). *فلسفة الحداثة في فكر هيجل* (الإصدار 1). بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

18. نيفين زيور. (2002). *في الواقع النفسي*. القاهرة: مكتبة الأنجلومصرية.

- ملحق تحليلي يتضمن مسرد للأعلام:

هذا الملحق يتضمن أعلام المقال، وهم الشخصيات الفكرية والعلمية، ذات الارتباط المعرفي تاريخيا بنشأة ميتافيزيقا المعلومات المتجلية بشكل موضوعي في ثورة البيانات. إنَّ الأسماء المذكورة على التوالي في المقال، إثر المعالجة التحليلية التراكمية للإشكالية المطروحة، هي بمثابة نواة تحليلية كاشفة لحقيقة خطاب معرفي ممتد في الزمان، ومسؤول بشكل أساسي عن ميلاد واقع الرقمنة كما نعيشه اليوم، وهذه الأسماء كما وردت ترتيبيا في المقال هي كالآتي:

1. فريدريك براون Fredric Brown.
2. أنطوني ليفاندوفسكي Anthony Levandowski.
3. آلان تورينغ Alan Mathison Turing.
4. نيكولاس كوبرنيكوس Nicolaus Copernicus.
5. تشارلز دارون Charles Robert Darwin.
6. سيغموند فرويد Freud Sigmund.
7. كلود إلوود شانون Claude Elwood Shannon.
8. نوربرت وينر norbert-wiener.
9. برنار مييج Bernard Miège.
10. فيليب بروتون Philippe Breton.
11. إدوارد فون هارتمان Eduard von Hartmann.
12. شيلينج Schelling.

13. هيجل Hegel.
14. شوبنهاور Schopenhauer.
15. إرنست بروكه ernest brucke.
16. أفلاطون Plato.
17. ديكارت Descartes .
18. جاك لاكان Jacques Lacan.
19. مارتن هايدغر Martin Heidegger .
20. نيتشه Nietzsche.
21. لودفيغ فون برتالانفي Ludwig von Bertalanffy.
22. زينون الأيلي Zénon d'Élée.
23. غاليليو غاليلي Galileo Galilei.
24. جون واليس John Wallis.
25. إسحاق نيوتن Isaac Newton.
26. غوتفريد ليبنيتز Gottfried Leibniz.
27. جورج كانتور Georg Cantor.
28. ألبرت أينشتاين Albert Einstein.
29. إرفينغ شرودينغر Erwin Schrödinger .
30. هيو إفريت الثالث Hugh Everett III.
31. نيل ستيفنسون neal stephenson.
32. جوردن مور Gordon Moore.
33. جورج بركلي George Berkeley.

المواطنة وخيارات تجديد الفكر الشبابي في الجزائر Citizenship and options for renewing youth thinking in Algeria

د. بوربيع جمال

جامعة محمد الصديق بن يحي - جيجل - (الجزائر)، Bourbiadjamel@univ-jijel.dz

تاريخ الاستلام: 2021/03/12

تاريخ القبول: 2022/06/30

الملخص:

يكون هدف الوصول إلى المواطنة كسلوك واقعي ومتحضر محل اهتمام واجتهاد جميع الفاعلين، من باحثين ومفكرين وفاعلين على كل الأصعدة وفي كل المجتمعات باختلاف مشاربهم الثقافية، وتعدد دياناتهم ووسائل ضبطهم ونماذج اقتصادياتهم، وتكون مساهمة مؤسسات التنشئة الاجتماعية ضرورية، فالأسرة تغرس الاعتزاز بالأصل والتعلق بالأرض وتنمية الذات، في حين تقوم المدرسة بتعليم المواطنة وضبطها في مجموع سلوكات وفق برامج وتصورات ممنهجة، وقيام المجتمع بتطوير مجال التشاركية مع تبيان مجالي الحقوق والواجبات، خاصة لدى فئة الشباب، القوة الفاعلة والنشطة والمطالعة والمؤثرة والمتأثرة، والمحبة للتغيير والمتقبلة لجديد الأفكار، فالحمل على تجنب المتناقضات واكتساب مناعة ثقافية لتجنب مخاطر الذات والآخرين ومواجهة ما فسد مما خطط له إعلاميا، بغية الوصول لفكر شبابي منسجم ومتكامل وواضح لفهم الواقع والتعايش مع عالم اليوم المتغير والمثير والغامض في الكثير من جوانبه.

الكلمات المفتاحية: المواطنة؛ الفكر الشبابي؛ مشكلات الشباب؛ قيم المواطنة؛ صدام الأجيال.

Abstract:

The goal of achieving citizenship as a realistic and civilized behavior is the focus of the attention and diligence of all actors, researchers, thinkers and actors at all levels and in all societies, with their different cultural backgrounds, the plurality of their religions, the means of controlling them, and their economic models, while the school teaches citizenship and controls it in a total of behaviors according to systematic programs and perceptions, and the community develops the field of participatory while clarifying the fields of rights and duties, especially among the youth group, the active, active, reading, influential and affected force, the love of change and receptive to new ideas, the work to avoid contradictions and the acquisition of Cultural immunity to avoid the dangers of self and others and to confront what has been spoiled by what was planned

in the media, in order to reach a harmonious, integrated and clear youthful thought to understand reality and coexist with today's changing, exciting and mysterious world in many aspects.

Keywords : Citizenship; Youth Thought; Youth issues; values of citizenship; Generations conflict

مقدمة:

مع التطورات الحاصلة في مختلف مجالات الحياة الإنسانية والمجتمعية فإن الأحداث والظواهر فقدت بساطتها الأولى باعتبار أن التكنولوجيا الحديثة صارت متغير أساسي في هذا الواقع، الذي ساهم في تغيير القناعات وتحول الأفكار، فهذه التحولات طبعت المجتمعات وأثرت على مختلف المؤسسات التي كان لها الدور الكبير في توعية الفكر الشبابي، غير أن التطورات في مجالات التكنولوجيا الحديثة، وتكنولوجيا الاعلام والاتصال، والتي غزت أفراد المجتمع بكل شرائحه وحدث تحول في الفكر الشبابي نحو الأخذ بهذه المتغيرات كمبدأ له للتعبير عن وجوده ومطالبته بحقوقه تحت غطاء حق الانتماء للوطن والاستفادة من خيراته، لهذا وجب على مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية مواكبة هذا التحول والعمل على تجديد خطاباتها وأفكارها لترسيخ قيم ومبادئ المواطنة الحقة، التي تأخذ بالاعتبار كل المتغيرات والتحديات التي تواجه الشباب، والسعي من أجل حمايته لكي يحافظ على مكونات ومبادئ وقيم المواطنة والتحلي بها خاصة في ظل التوترات الحالية.

1- المواطنة والفكر الشبابي-اشكالية المفهوم-

يصعب تحديد مفهوم شامل وعام لتحديد معنى المواطنة نظرا لتعدد الأبعاد والقيم الأساسية التي تشكل جميعها محورا رئيسيا لمعناها، فالمواطنة مفهوم واسع جدا يحتوي على كل مضامين الإقرار بالوجود والانتماء والشعور، والاقرار بمبدأ الحق والواجب والمساواة، ولقد وردت عدة تعاريف حول المواطنة حيث ركز كل منها على جانب معين، ولكن رغم التباين في مفهومها تتحد في جوانب ومعاني كثيرة، فالمواطنة في تحديدها اللغوي العربي مأخوذة من مصطلح:

- **الوطن:** الذي يعني المنزل الذي نقيم فيه وهو "موطن الإنسان ومحلّه" أي وطن يطن وطناً؛ أقام به، توطن البلد: اتخذهُ وطناً، وجمع الوطن، أوطان (منظور، لسان العرب، 1993، صفحة 338)، وبأسبسط تعريف فالوطن هو "مكان إقامة الإنسان ومقره، ولد به أم لم يولد (العدناني، 1984، صفحة 725)

أما اصطلاحاً فالمواطنة كما عرفتها موسوعة كولير الأمريكية، بأنها "أكثر أشكال العضوية اكتمالاً في جماعة سياسية ما" (الدجاني، 1999، صفحة 05)، أما الموسوعة العربية العالمية، فإنها تعرف المواطنة على إنها: "اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن" (العربية، 1996، صفحة 311)

وفي قاموس علم الاجتماع تم تعريفها على إنها: "مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة) ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة عن طريق القانون" (غيث، 1995، صفحة 56)

ولقد اقترن مفهوم المواطنة أو ما يدل عليه من مصطلحات عبر التاريخ بإقرار المساواة للبعض أو للكثرة من المواطنين، على حد وصف روبرت دال للممارسة الديمقراطية الراهنة (الكواري، 2004، صفحة 77)، كما قدم العديد من المفكرين مفاهيم متنوعة للمواطنة منها التعريف الذي أورده أمحمد مالكي على أن المواطنة "وعي الانتماء إلى جماعة اجتماعية، ذات هوية سياسية، والتي تسهم في البناء الحقوقي والاجتماعي لأي بلد" (مالكي، 2012، صفحة 004)

و قد عرفت دائرة المعارف البريطانية المواطنة بأنها "علاقة بين فرد و دولة كما يحددها قانون تلك الدولة متضمنة مرتبة من الحرية و ما يصاحبها من مسؤوليات و تصبغ عليه حقوقا سياسية مثل حقوق الانتخاب وتولي المناصب العامة"- (Britannica, 1992, p. 332)

فالمواطنة Citizenship اذن تتعدد أوجه تمثالاتها في فكر كل فرد، وكل فرد يراها من خلال ممارسته اليومية لواجباته بغض النظر عن حصوله أو عدم حصوله على حقوقه، فهي معنى لصفة المواطن والتي تُحدد حقوقه وواجباته الوطنية، ويعرف الفرد حقوقه ويؤدي واجباته عن طريق التربية الوطنية، كما تتمظهر عند الآخر في ولاء المواطن لوطنه وخدمته في أوقات السلم والحرب، والتعاون مع المواطنين الآخرين عن طريق العمل المؤسساتي والفردى الرسمي والتطوعي وهذا قصد تحقيق الأهداف المجتمعية، لهذا رغم تعدد المفاهيم إلا أن الاتفاق واضح على أن المواطنة تلخص في الولاء للوطن وخدمته والتضحية في سبيله إن تطلب الأمر.

- الشباب: يختلف مفهوم الشباب من مجتمع إلى آخر وحتى من مرحلة زمنية لأخرى.

الشباب في المعجم الوسيط هو من "أدرك سن البلوغ إلى سن الكهولة، والشباب هو الحداثة وشباب الشيء أوله" (فهيم، 2007، صفحة 85)، أما في لسان العرب لابن منظور "شب الشباب: الفتاة والحداثة" (منظور، لسان العرب، 1997، صفحة 388) كما يعرف بعض الباحثين فئة الشباب بوصف بعض خصائصهم فحسبهم "الشباب يعني النشاط والقوة والسرعة، ويشير قاموس وبستر لمصطلح الشباب على أنه: (فهيم، 2007، صفحة 85)

- فترة من مراحل العمر المبكرة:

- فترة من العمر التي تكون بين مرحلتى الطفولة أو الحداثة والمراهقة:

- فترة النمو المبكرة

ويمكن تعريف الشباب بأنه كل من وصل سن البلوغ الجسدي واكتسب القدرات والإمكانات النفسية اللازمة.

2- الشباب ومشكلاته في ظل التحديات الراهنة

تسهم معظم التغيرات التي تطرأ على المجتمعات الحديثة في إحداث تحول داخل البناء الاجتماعي وبتأثير وسائل الاتصال والتكنولوجيا يتم تسريع حركة التغيير بالتزامن مع ظهور أشكال عديدة من الصراع الثقافي بين القديم والحديث، وتتعد الأسباب التي تؤدي إلى وجود مشكلات لدى الشباب في ظل قيم المواطنة وخصائصها، لهذا يجد الشاب نفسه في صراع سواء مع نفسه أو مع محيطه، لأن الفكر الشبابي تحكمه وتؤثر فيه عدة متغيرات تجعله ينفر من بعض القيم ويرفض الضغط المعنوي الممارس على عقله وتفكيره، وغالبا ما ترتبط المشكلات التي يعاني منها الشباب بالمجتمع والأسرة من جهة ومن جهة أخرى تتعلق بخصائص وأفعال تصدر من الشباب أنفسهم.

والمجتمع الجزائري شأنه شأن المجتمعات العربية الأخرى مرّ بمجموعة من التغيرات المختلفة والمتباينة الاتجاهات صاحبها زيادة في إمكانيات المعرفة، والانفتاح على أساليب حياة وفكر مختلفة لم تكن موجودة من قبل، كحدوث تغيرات في "النظم الاجتماعية صاحبها اعتراف من المجتمع باستقلالية الشباب وبتأثير الخصائص النفسية والاجتماعية للمرحلة العمرية من اندفاع ونزوع على الخيال والمثالية، مع رفض للواقع وبتأثير من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية المتلاحقة إضافة إلى الثورة التقنية والإعلامية والانفتاح على العالم الذي أسهم في الاطلاع على ثقافات مختلفة، حيث ظهر بين الشباب ثقافة فرعية مستقلة عن ثقافات المجتمع تتضمن عناصر ثقافية تتعارض مع القيم الثقافية العامة التي تعتبر أساساً للنظام القائم" (السيد، 2012، صفحة 02)

كما انتشرت بين الشباب مفاهيم وسلوكيات سجلت استجابات سلبية للمؤثرات الخارجية، هذه التطورات والتسهيلات التقنية (أجهزة الحاسب والهاتف النقال) ساهمت في زيادة الفجوة بين الأجيال وضعفت الهوية الوطنية بين عدد كبير من الشباب خاصة الذين لم تفلح التربية الأسرية والمدرسية في توعيتهم.

ويمكننا تلخيص أهم المشكلات التي يعاني منها الشباب في نماذج مختلفة منها ما يلي:

• **العنف والتطرف:** ويعرف "العنف بأنه تهديد باستخدام القوة أو الاستخدام الفعلي لها بغرض إلحاق الأذى والضرر بالأشخاص وإتلاف الممتلكات" (حسن ع، 2017)

وتتعدد أسباب وعوامل العنف الشبابي منها: العنف الأسري، التفكك في العلاقات الاجتماعية، تدني الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، وسائل الإعلام التي تبث صوراً مختلفة للعنف سواء في الأفلام أو المسلسلات، أو على منصات التواصل الاجتماعي.

• **التغريب والضياع الفكري:** تعتبر العولمة من أبرز التحديات التي تواجه ثقافة الشباب وهناك اتفاق على أنها محور ساعد على تغريب الشباب ولذلك انقسم الشباب إلى فئتين هما: (ميلسون، 2007، صفحة 18)

- "فئة اتسمت تعريفاتها بالانفعالية الشديدة (رافضة للعولمة) متمردة على برامجها

- فئة مبهورة بالعولمة تبدي إعجابها بكل ما جاءت به من تكنولوجيا واتصالات... إلخ ومن أبرز مظاهر التغريب والضياع الفكري بين بعض الشباب نذكر ما يلي: (ميلسون، 2007، صفحة 18)

- "اختلاف سرعة التغير في الجوانب المادية عنها في الجوانب المعنوية
- الانفلات الإعلامي وضعف الرقابة الذاتية والاجتماعية
- ضعف البنية الأسرية وعجزها عن التكيف الإيجابي للأحداث والضغط
- قصور مواكبة المؤسسات التربوية للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية

- النزاعات الأنانية والانعزالية والطائفية والقبلية والتي تؤدي إلى توتر التفاعل الاجتماعي

- عدم فاعلية سياسة الترفيه لاستغلال أمثل لأوقات الفراغ

- ضعف وعدم تكافؤ الفرص للكسب المادي والعمل الاجتماعي

• **الانحرافات السلوكية:** يمكن النظر تحليلياً إلى جملة من أشكال السلوك المنحرف في مرحلة الشباب كنتاج للوسط الاجتماعي والأسري الذي لم يتمكن من غرس القيم الاجتماعية بحيث تصبح جزءاً من هوية الإنسان، ويتأثر السلوك بين الشباب في حال غياب أو ضعف تأثير التنشئة الأسرية الفعالة، وأيضاً عدم الاهتمام بمطالب واحتياجات الشباب وضعف الترابط الأسري يؤدي إلى الانقياد وراء رفقاء السوء والتورط في مشكلات إجرامية، كتعاطي المخدرات أو سلوكيات لا تقبلها المجتمعات، ولعل الانحراف الجنسي من أبرز أنواع الانحراف يشجع عليها رفقاء السوء (عباس، 1993، صفحة 23)

• **المخدرات والمسكرات:** تعتبر المخدرات من أخطر المشكلات التي تواجه الشباب وهي محرمة في التشريع الإسلامي (عباس، 1993، صفحة 23)

• **البطالة:** تعد من أخطر الأمراض الاجتماعية والاقتصادية ويترتب على البطالة آثار عدة منها، العزلة الاجتماعية و ضعف تواصله مع القوى الاجتماعية الأخرى (حجازي ع.، 1985، صفحة 51)

• **سوء فهم معنى وقت الفراغ وكيفية استثماره:** في المجتمع المعاصر اختلف مفهوم الفراغ فلم يعد بمعنى مجموع الدقائق أو الساعات التي يمكن أن يمضيها الفرد، وإنما هو الوقت الذي ينبغي تخطيطه وبرمجته واستثماره، بطريقة تساعد على تنمية ذاتية

الفرد وتطوير قدراته الفكرية والإبداعية، ويشكل وقت الفراغ سلوكاً اجتماعياً قد يأخذ طابعاً سلبياً أو إيجابياً في مجال الحياة الاجتماعية (عباس، 1993، صفحة 33)

• **صعوبات الزواج والمشكلات الأسرية:** تعد الوحدة الاجتماعية الرئيسة لأي مجتمع هي الأسرة فهي التي تحفظ استمرارية العنصر البشري، ولقد انعكس تأثير التغيرات الاجتماعية والاقتصادية المتلاحقة على بناء الأسرة ووظائفها ومن ذلك "تأخر سن الزواج، تكاليف الزواج، صعوبة تلبية الحاجات وتحقيق الطموحات، وأيضاً سوء "توافق" أو "تأقلم" مع الظروف السائدة" (فهبي، 2007، الصفحات 105-106)

3- مكونات وقيم المواطنة وتمثلاتها في الفكر الشبابي

تحرص كل المجتمعات على غرس قيم المواطنة في نفوس أبنائها وترسيخ مبادئها في عقولهم وتفكيرهم، وجعلهم يعترفون بها ويحرصون على التحلي بها من خلال السلوكات والأفعال التي تصدر منهم، ومن خلال كذلك تمثلهم المعنوي للقبول بها والعمل في إطارها، وكل هذا يظهر من خلال الممارسة الفعلية للمكونات التي تتضمنها قيم المواطنة. "وقد بات مفهوم المواطنة يقوم في الوقت الراهن على عدة مبادئ في مقدمتها تساوي الناس في الحقوق والواجبات بغض النظر عن العرق أو الدين أو اللهجة أو النوع أو الوضع الطبقي، وتبدأ هذه العملية بتساوي الناس أمام القانون، في «مواطنة مدنية» ويعطي الحق في حرية التعبير عن الرأي، والحق في الملكية، وتأتي بعدها «مواطنة سياسية» قامت على أكتاف المؤسسات التمثيلية (البرلمانية)، التي يحصل الفرد من خلالها على حق الانتخاب والترشح، ثم تأتي «المواطنة الاجتماعية» التي تقوم على توفير الرفاه الاجتماعي والاقتصادي للفرد، بما يؤمن له حياة كريمة، تلبي فيها حاجته إلى الغذاء والإيواء والكساء والدواء والترفيه، ويجد الخدمات التي يحتاجها من تعليم وصحة... الخ. ويقابل هذه الحقوق أداء الفرد ما عليه من واجبات، ومنها احترام القوانين،

ودفع الضرائب، وأداء الخدمة العسكرية أو العامة، أو الاشتراك في الدفاع عن الوطن" (حسن ع، 2017)

وهناك من يميز بين أربع صور حديثة للمواطنة، "الأولى هي الصورة «الجمعية» حيث تدل المواطنة ضمناً على المشاركة والخدمة الاجتماعية من أجل المنفعة العامة، مستندة إلى المرتكزات الأساسية للجماعة ومنها الثقافة والقيم الأخلاقية، والثانية هي «الصيغة الجمهورية المدنية» وتنصب فيها المواطنة على المشاركة السياسية، وتشير إلى فكرة مساهمة المواطنين في صنع القرار، والثالثة هي «الليبرالية الجديدة» أو المفهوم التحرري للمواطنة، والذي ينظر إليها بوصفها وضعاً قانونياً، ينحسر فيه المجال السياسي إلى أقل حد ممكن، من أجل منح الفرد أكبر قدر ممكن من الحرية، وتبقى المصلحة الشخصية هي الدافع الرئيسي المحرك للمواطنين" (حسن ع، 2017)

أما الصورة الرابعة فهي الصيغة "«الليبرالية الاجتماعية للمواطنة» التي صارت مسيطرة في معظم الديمقراطيات الغربية منذ أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، وتركز هذه الصيغة على حقوق الفرد مثل الحق في إبداء الرأي، والتصويت، والضمان الاجتماعي، مقابل الالتزام بدفع الضرائب، والالتزام بالتقدم إلى الوظائف، وقبولها في حال توافرها، بدلاً من العيش عالة على معونة الدولة، وطبقاً لهذه الصيغة تكون المواطنة شاملة وقائمة على المساواة في الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية، وحصول الفرد على أكبر قدر من التحرر لممارسة حقوقه، وتطوير شخصيته، ومن هنا يسعى الأفراد إلى وضع حد لتدخل الدولة في حياتهم" (حسن ع، 2017)

وللمواطنة عناصر ومكونات أساسية ينبغي إن تكتمل حتى تتحقق، وتتمثل هذه العناصر والمكونات فيما يلي:

1- الانتماء: يُعرف الانتماء بأنه النزعة التي تدفع الفرد للدخول في إطار اجتماعي فكري معين بما يقتضيه هذا، من التزام بمعايير وقواعد هذا الإطار وبنصرتة والدفاع عنه في مقابل الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى (راتب، 1999، صفحة 57)

وعلى الرغم من إن مفهوم الانتماء الاجتماعي يعاني من التعقيد والغموض، فإنه يُعد من أكثر المفاهيم تداولاً في الأدبيات السوسيولوجية والتربوية المعاصرة، ويميل الباحثون في علم الاجتماع إلى تحديد الانتماء الاجتماعي للفرد وفقاً لمعيارين أساسيين متكاملين هما: العامل الثقافي الذاتي الذي يأخذ صورة الولاء لجماعة معينة أو عقيدة محددة، ثم العامل الموضوعي الذي يتمثل في معطيات الواقع الاجتماعي الذي يحيط بالفرد، أي الانتماء الفعلي للفرد أو الجماعة، فالولاء هو الجانب الذاتي في مسألة الانتماء يعبر عن أقصى حدود المشاركة الوجدانية والشعورية بين الفرد وجماعة الانتماء (حجاب، 2004، صفحة 93)

"ومن مقتضيات الانتماء ان يفتخر الفرد بالوطن والدفاع عنه والحرص على سلامته لأن الانتماء عبارة عن شعور داخلي، يجعل المواطن يعمل بحماس واخلاص للارتقاء بوطنه والدفاع عنه" (موسى، 2011، صفحة 84)

2- الولاء: "يمثل الولاء للوطن قيمة جوهرية تدفع بالفرد إلى تمثيل هذه القيمة بشكل فعلي و تجعله يدافع عن هذا الولاء ضد أي خطر يهدده، و هذا ما يقع على عاتق ومسؤولية الأسرة تعليمه لأبنائها ليصبحوا محبين لوطنهم ومدافعون عنه" (السليمان، 1998، صفحة 108)

إن منح الأسرة الحب والحنان لطفلها وشعوره أنه عنصر فعال يقوي صورة الذات عنده، و يعطيه المزيد من الثقة بالنفس، وهو ما يقود بهذا الأخير إلى الشعور بانتمائه لأسرته وحب وولائه لها، وهو ما يجعله أيضا يتمثل بكل ما تقوم به الأسرة وتطلبه منه وتعليمه إياه، وهذا ما دفع تالكوت بارسونز في مجال الفكر السوسيولوجي إلى ضرورة

التركيز على الثلاث سنوات الأولى من حياة الطفل، وضرورة قرب الوالدين منه لتزويده بمختلف السلوكات النافعة والصالحة، والتي تمكنه من تحقيق نموذج واندماج اجتماعي والمساهمة المجتمعية المستقبلية.

3- الحقوق: "إن مفهوم المواطنة يتضمن حقوقاً يتمتع بها جميع المواطنين وهي في نفس الوقت واجبات على الدولة والمجتمع، وبالتالي فإن معظم الدساتير في تحديد لها لحقوق المواطن ترجع إلى موثاق حقوق الإنسان، وأهمها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام 1948 والتفصيل الوارد في العهد الدولي الخاص بالحقوق السياسية والمدنية والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الصادرين عن هيئة الأمم المتحدة عام 1966م (حسن ع.، 2017)، نذكر من هذه الحقوق ما يلي: - "توفير الخدمات الأساسية وتشمل (التعليم، السكن النظيف، الخدمات الصحية، التأمين والضمان الصحي الأمن الاجتماعي، البيئة النظيفة الخ)

- توفير الحياة الكريمة، لكل فرد الحق في الحياة والأمن والحرية، ولا يجوز الحرمان من هذه الحقوق أو تقييدها إلا وفقاً للقانون

- الحرية الشخصية وتشمل (حرية التملك، وحرية العمل، وحرية الاعتقاد، وحرية التعبير عن الرأي، حق الاجتماع والتظاهر السلمي، وحق الحصول على الجنسية - حق المشاركة في اتخاذ القرارات المصيرية والتمتع بالحقوق السياسية، بما فيها حق التصويت والانتخاب والترشح" (موسى، 2011، صفحة 85)

4- الواجبات: "تختلف الدول عن بعضها البعض في تحديد درجة ونوعية الواجبات المترتبة على مواطنيها باختلاف الفلسفة التي تقوم عليها الدولة، فالدولة في الجزائر مثلاً ترى بأن المشاركة في الانتخابات واجب وطني، بينما لا ترى دولاً أخرى ذلك" (ناظر، دون تاريخ، صفحة 156)، ويمكن إبراز بعض واجبات المواطن فيما يلي: (ناظر، دون تاريخ، الصفحات 156-157)

- احترام النظام
- التصدي للشائعات التي تساهم في زرع التفرقة وتأجيج الصراعات السياسية والاجتماعية والمذهبية
- عدم خيانة الوطن
- الحفاظ على الممتلكات العامة
- الدفاع عن الوطن في حال تعرض للغزو والهجوم من الأطراف المعادية.
- الإخلاص والدقة في أداء الأعمال الحكومية والمجتمعية التي تهدف لخدمة أفراد المجتمع.

5- المشاركة المجتمعية: "ان من ابرز سمات المواطنة أن يكون المواطن مشاركا في الأعمال المجتمعية والتي من ابرزها الأعمال التطوعية، فكل اسهام يخدم الوطن ويترتب عليه مصالح دينية ودينية كالتصدي للشبهات وتقوية أواصر المجتمع، وتقديم النصيحة للمواطنين والمسؤولين يجسد المعنى الحقيقي للمواطنة" (موسى، 2011، صفحة 86)

6- القيم: "تعد القيم من المفاهيم الجوهرية في كافة ميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لأنها تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها، فهي ضرورة اجتماعية لأنها معايير وأهداف لأبد وأن نجدها في كل مجتمع منظم سواء كان متقدما أو متخلفا، ويضيف البعض بأن الحياة الاجتماعية تستحيل بدون القيم ولا يمكن أن يحققوا ما يريدون وما يحتجون إليه من الآخرين بغير القيم، وتلعب هذه الأخيرة دورا كبيرا في إدراك الفرد للأمور من حوله، وكذلك تصوراته للعالم المحيط به" (B, 1969, p. 42)

وعلى الرغم من اهتمام المفكرين باختلاف تخصصاتهم بدراسة القيم فإن مفهومها لازال يكتنفه الغموض والخلط بينه وبين مفاهيم أخرى، كالاهتمام والدافع والمعتقد

وهو ما جعل Posner and Munson يعرفان القيم بأنها "تصديق الفرد بما هو صحيح أو خطأ، مقبول أو غير مقبول، عدل أو غير عدل، مرغوب فيه أو غير مرغوب فيه" (Munson, 1979, p. 15)

ومن بين تعريفات القيم الكثيرة والمتعددة نجد تعريف كارين أوينز الذي يعرفها بأنها: "أفكار معيارية توجه السلوك وتزوده بمعايير خارجية داخلية نحو ما يكافح الناس من أجله، وتزود السلوك بالأساس الأخلاقي" (المغربي، 1995، صفحة 158)، كما يعرفها عبد اللطيف خليفة بأنها "عبارة عن مجموعة الأحكام التي يصدرها الفرد بالتفضيل أو عدم التفضيل للموضوعات أو الأشياء وذلك في ضوء تقييمه أو تقديره لهذه الموضوعات، وتتم هذه العملية من خلال التفاعل بمعارفه وخبراته وبين الإطار الحضاري الذي يعيش فيه ويكتسب من خلاله الخبرات والمعارف" (رشوان، 2007، صفحة 159)

أما القريوتي، فقد عرّفها بأنها المعتقدات التي يعتقد أصحابها بقيمتها ويلتزمون بمضامينها " (القريوتي، 2009، صفحة 109)، وبشكل عام فالقيم تعتبر بأنها "مجموعة الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية يتشربها الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة، ويشترط أن تنال قبولا مع جماعة اجتماعية" (دبلة، 2011، صفحة 73)

ومن هذه التعاريف التي وضحت معنى القيم نستنتج ان للقيم خاصيتين هامتين هما: (ضياء، 1984، صفحة 24)

- تعتبر أكثر تجريدا وعمومية ومحددة لاتجاهات الفرد واهتماماته وسلوكه
- أنها تتسم بخاصية الوجوب أو الإلزام التي تكتسب في ضوء معايير المجتمع والإطار الحضاري الذي تنتهي إليه هذه القيم، لهذا فأهمية القيم تظهر بعدة أوجه وفي مختلف

المواقف التي يعيشها الأفراد ويمرون بها، وتتحد أهميتها أساسا فيما يلي: (الشيخ، 1999، صفحة 74)

- الأمانة: ومن معاني الأمانة عدم استغلال الوظيفة أو المنصب لأي غرض شخصي
 - الإخلاص: ويشمل الاخلاص لله عز وجل في جميع الأعمال والاخلاص في العمل الدنيوي واتفقانه، والاخلاص في حماية الوطن
 - الصدق: فالصدق يتطلب عدم الغش أو الخداع أو التزوير، فبالصدق يكون المواطن عضوا نافعا لوطنه
 - الصبر: يعد من أهم العوامل التي تساهم وتساعد في ترابط المجتمع واتحاده
- وفيما يخص هذه النقطة الأخيرة فضرورة تزود المواطن بمجموع محفزات، وكذا الطاقة الايجابية المعنوية قصد التعايش ولو لفترة أثناء حدوث الأزمات والكوارث، وحتى المرور بالأوضاع الاقتصادية ووجوده في مرحلة بطالة، وكذا المعاناة من أزمة السكن، وهي المؤشرات على ظهور بعض السلوكات المنافية للمواطنة وضرورة معالجة كل مشكلة في نطاقها الخاص مكانا وزمانا.

4- الفكر الشبابي وصدام الأجيال

لقد ساهم التغير الحاصل في مجالات الحياة على اختلافها من ترسيخ قيم وقناعات جديدة في فكر الشباب والتي كانت نتاجا للتطور التكنولوجي الذي غزى عقول الشباب وأفكارهم، إلى جانب تحول في الأدوار التي كان لابد من أن تؤدي مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي انعزلت نوعا ما عن وظيفتها وتقزم وجودها، مما خلق نوع من الصدام بين الأجيال، أي بين جيل كانت الأسرة أهم ميدان لاكتسابه كل السلوكات التي تساهم في تربيته وصقل شخصيته وغرس فيه قيم ومبادئ تجعله فرد صالح يسعى لخدمة وطنه، وجيل آخر أثرت فيه رياح التكنولوجيا والمشاكل المختلفة ودفعته للانعزال وخلق عالم آخر يتضمن المبادئ والقيم التي يرغب فيها هو، لأنه لم يجد من

يقوم بهذا الدور فحدث نوع من الصدام، وكان الحل هو الانعزال والهروب لأن نقاط الاختلاف أكثر من نقاط الالتقاء والتي تمنع امكانية التوافق والانسجام.

"تعد وسائل الإعلام من أهم العوامل التي ساهمت في ظهور هذا الاختلاف، بسبب القيم والسلوكيات التي تروجها ذلك أن الإنسان بتكوينه الفطري يحمل استعدادات وإمكانات قابلة للتشكيل والتغير النفسي والاجتماعي من خلال هذه المؤثرات المتنوعة المحيطة به" (علي، 2004، صفحة 217)

وتتعدد الأسباب التي تساهم في حدوث الاختلاف وعدم توافق بين الأجيال وتؤدي إلى تغير في مفهوم المواطنة، وتحديد أبعادها وقيمها واختلافها وتغيرها من فترة لأخرى نتيجة تغير القطاعات وتدخل متغيرات أخرى وزوال البعض الآخر، ومن أبعاد المواطنة نذكر ما يلي:

- **البعد القانوني:** "من المؤكد إن المواطنة هي في المقام الأول وضع قانوني، وهذا الوضع يشمل قبل كل شيء حق التصويت والانتخاب، لكنه أيضاً مجموعة حقوق وحرّيات يجب أن يتمتع بها المواطن دون قيود غير التي يفرضها المجتمع، فالمواطنة قانونياً تعني علاقة الفرد بالدولة كحقيقة جغرافية وسياسية تُحددها وتحكمها النصوص الدستورية والقانونية والتي تحدد على قاعدة المساواة الحقوق المختلفة للأفراد والواجبات التي عليهم تجاه المجتمع، والوسائل التي يتم من خلالها التمتع بالحقوق والإيفاء بالواجبات وعادة ما تكون رابطة الجنسية معياراً أساسياً لتحديد من هو المواطن وبناءً عليها تترتب الحقوق والواجبات السياسية، والمدنية والاقتصادية والاجتماعية" (عبيد، 2006، صفحة 04)

- **البعد الاجتماعي:** "إن نقطة تحديد الفرد بالمواطن هي الانتماء لمجموعة من الأفراد (المواطنين) في رقعة جغرافية محددة ومعترف بها داخلياً وخارجياً، والانتماء محاولة

لتشكيل الهوية ومن ثم الولاء تبعاً لفهم تلك الهوية وكيونيتها" (ولديب، 2010، صفحة 50)

- البعد الثقافي - السلوكي: "إن ممارسة مبدأ المواطنة على أرض الواقع مرتبط إلى حد بعيد بالمنظومة الثقافية السائدة داخل المجتمع، فالعادات والقيم والتقاليد والأعراف الاجتماعية، تعمل بشكل لا واعي على اندماج الذات بالحياة الاجتماعية وفق شروط خاصة تحددها الجماعة وبالتالي تحديد الحقوق والواجبات وممارستها على أرض الواقع" (جنكو، دون تاريخ، صفحة 33)

- البعد السياسي: "تبدو المواطنة اليوم اقرب إلى نمط سلوكي مدني وإلى مشاركة نشطة ويومية في حياة المجتمع أكثر مما هي وضع قانوني مرتبط بمنح الجنسية، فالمواطن الصالح مشارك في الحياة العامة بكل تفاصيلها، وهذا الوضع يشمل حرية تشكيل الأحزاب، حق التظاهر، الاعتصام والمساهمة في تشكيل النظام السياسي، إن المواطنة الحقبة التي تعبر عن وعي الفرد بالحقوق والواجبات والنظر إلى الآخر دون تعصب، وصيانة المرافق العامة، والحرص على المصلحة الوطنية، والتي تعبر أيضا عن مدى إدراك هذا الفرد لدوره في مواجهة التحديات التي تواجه المجتمع لا يمكنها أن تتأسس وتظهر من فراغ أو من العدم، بل تنتج بفعل فاعل ومحرض لها" (نبيه، 2008، صفحة 142)

وعلى المؤسسات الاجتماعية الانتباه لهذه الهوية التي حدثت بين الأجيال وشكلت صراعا اختلفت فيه مبادئ التضامن والتعاون والتوافق والتحلي بروح المسؤولية، والسعي من أجل خدمة الوطن والمساهمة في تطويره والمحافظة عليه، "ولهذا فعندما نتحدث عن موقع الأسرة ومكانتها في بلورة وتشكيل مفهوم المواطنة لا يمكننا معه من باب الموضوعية أن نستثني ونعزل دور المجتمع وأثره في هذا الموضوع، إذ لا يمكننا أن نتوقع أن تنتج لنا مواطنة حقيقية في ظل مجتمع تغلب وتسيطر عليه الديكتاتورية

ويسوده الظلم والجور، وتطغى عليه معاني اللامساواة والتعصب والاعترا ب" (مصطفى، 2001، صفحة 73)

5- تغير دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية و انعكاساته على الفكر الشبابي

ان تغير وتحول الأدوار التي كان ينبغي أن تمارسها مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية ساهم وفتح الطريق أمام التطور الحاصل في كل مجالات الحياة وسيطرت ريا ح العولمة التي غرست ثقافة وقيم جديدة في الفكر الشبابي الذي وجد نفسه وسط عالم استطاع الهروب اليه وممارسة حياته الوهمية في ظله.

فبالنسبة للأسرة والمدرسة فان لهما تأثيرا كبيرا في طبيعة المشكلات التي يواجهها الشباب فانشغال الوالدين وعدم اهتمامهما بالتربية قد تسبب في ضعف الإنجاز والتهرب من المسؤوليات بين الأبناء ، "ولما كانت الأسرة هي أولى المؤسسات الاجتماعية التي يوجد فيها الفرد وهي التي ينام لها مسؤولية تربية وتنشئة هذا الأخير من جهة، وكما أن انتماء الفرد لوطنه لا يتأتى من فراغ أو من عدم لكونه شعورا ينمو وينضج لديه في المراحل المبكرة من عمره من جهة أخرى فانه مما لا شك فيه إن الأسرة تحتل مكانة رفيعة في هذا الشأن" (رمضان، دون تاريخ، صفحة 56)

"إن حرص الوالدين على تدعيم صورة الذات عند أبنائهم و إعطائهم مزيدا من الثقة بالنفس، وتشجيع الاستقلالية لديهم في التعامل مع الأمور بدلا من إحباطهم، إلى جانب إشراكهم في حياة الأسرة عوامل محورية وفاصلة في جعل الطفل يشعر بانتمائه لأسرته وحبها، كما ان الطريقة التي يستمع بها الآباء لأبنائهم عندما يتحدثون تقوي شعورهم بالانتماء للوسط الأسري الذي يعيشون فيه" (رمضان، دون تاريخ، الصفحات 56-57)، وهذا لأن "قيمة الانتماء لدى الطفل في السنوات الأولى من حياته تمتد وتنتقل بشكل تدريجي من بيئته الأسرية إلى بيئات أخرى كالحي والبلاد التي يقيم بها لتنتقل بعدها بشكل تدريجي إلى مجتمعه ووطنه الكبير" (راتب، 1999، صفحة 82)، كما تعد عملية

ترسيخ معاني الوطنية والانتماء داخل محيط الأسرة بالشكل الصحيح واجبا عليها، ولهذا ينبغي قبل كل شيء أن يكون القائمون على شؤونها أكثر إدراكا ووعيا لها قبل أن تنقلها إلى الأبناء.

ومن هذا المنطلق فإن "المواطنة الحقيقية تنتج في ظل بيئات سليمة وسوية خالية من الانحرافات والاختلالات لاسيما بيئة الأسرة، التي تعتبر أهم هذه البيئات على الإطلاق، إلى جانب وجود مجتمع تسوده الديمقراطية والمساواة والحرية والعدل، لكي يحدث التوافق والتساند والتكامل بين وظيفتي الأسرة والمجتمع بأوسع معانيه في تشكيل وإنتاج مواطنة حقة" (مصطفى، 2001، صفحة 74)

أما بالنسبة للمدرسة "التي تعتبر من مؤسسات التربية ذات التأثير الكبير في فكر وسلوك الشباب وذلك من خلال عدة متغيرات منها طبيعة تنظيمها، شخصيات المعلمين وأساليب الإدارة والتعامل بين منتسبيها، ضف إلى ذلك المناهج التعليمية وتغيرها الدائم وعدم تصميمها وفق مبادئ تتوافق والدين الاسلامي وتواكب عصر التكنولوجيا وتوافق شخصية الشباب، إلى جانب الرفاق وطبيعة الأنشطة المتاحة للطلاب" (الأسعد، دون تاريخ، صفحة 185)

فالتغير الحاصل في البناء الاجتماعي والأدوار الرئيسية لمختلف مؤسسات المجتمع ساهم في خلق نوع من عدم التوافق والانسجام بين الأجيال، ويظهر مع انتشار النزعة الفردية التي تبدو مرتبطة بالحاجة إلى الاستقلال وهي من الحاجات الملحة في مرحلة المراهقة، أما اذا تحدثنا عن المسجد ودوره في غرس قيم المواطنة في نفوس الأفراد وخاصة الشباب فان الواقع يؤكد شيء آخر فالخطاب المسجدي تغير وأصبح مناسباتيا في أغلب الأحيان، ولم يبقى للمسجد ذلك الدور الذي كان يمارسه من خلال خطابات التوعية والمحبة والتكافل والتعاون والدعوة إلى ترسيخ كل قيم ومبادئ التعايش في ظل مجتمع يتميز بالتضامن العضوي، غير أنه ومع اكتساح التكنولوجيا والرقمنة لمختلف

المجالات لم يبق الخطاب المسجدي التقليدي يستقطب الشباب ويساهم في توعيتهم، لهذا وكواقع معاش يمكن اعتبار أن أكبر مؤسسة لها الإسهام الكبير في تغيير القنوات والتأثير الكبير هي المؤسسة الإعلامية بأنماطها ووسائلها المتعددة، تلعب دور بالغ الأهمية في "بناء الإنسان عبر تعزيز انتمائه الوطني وثقافته وتعريفه بحقوقه وواجباته في الميادين كافة، وكذلك في بناء المجتمع من خلال الارتقاء بالرؤى والتصورات التي تساعد الناس على أن يصبحوا قيمة مضافة في عملية التنمية وانصهار الجماعة الوطنية والالتفاف حول مشروع قومي للدولة" (علي، 2004، صفحة 217)

ويمثل الإعلام المنبر الجماهيري الأضخم للتعبير عن آراء المواطن وهمومه وعرض قضاياهم وشكواه، بل إن وسائل الإعلام الحديثة، في ضوء حرية تدفق المعلومات، باتت هي أبرز الأدوات لانتقال الثقافات وتبادل الخبرات بين مواطني مختلف الدول في شتى بقاع المعمورة، "وعلى المستوى المحلي باتت وسائل الإعلام في بعض الدول تؤدي دوراً يفوق دور الأحزاب السياسية وجماعات المصالح" (علي، 2004، صفحة 218)، لهذا لا بد أن "تراعي التحولات التي يشهدها الناس محلياً وإقليمياً ودولياً وتؤمن حرية في التعبير وتدفع المعلومات وانسياب الأفكار بعد زوال الكثير من العقبات والصعاب، وتطويع معطيات العلم لخدمة الإعلام الحر" (المشهداني، 2011، صفحة 97)

بقي أن نشير إلى "وجوب تكامل المؤسسات الاجتماعية التي تسهم في بناء وتشكيل الأدوار الاجتماعية فيما بينها وتساندها وظيفياً في أداء دورها من أجل تنمية شخصية الشاب، وذلك أن هذه الشخصية تتشكل من خلال تفاعل كل هذه الأجهزة وتكاملها، فبقدر ما يكون التكامل مستنداً لأساس علمي رشيد بقدر ما تنجح في أداء دورها نحو إكساب الشاب أدوار اجتماعية فعّالة، فمن المتوقع أن يؤدي الشباب أدواراً متنوعة كطلاب وعمال وفلاحين وآباء، وأزواج ومحاربين" (محمود، 2006، صفحة 184)

خاتمة:

مما سبق ذكره وما تناولناه من نقاش أكاديمي بحثي تحليلي لموضوع المواطنة ومفاهيمها وتغييراتها، ووجودها في صور نمطية تختلف من فرد إلى آخر، وكتناج لمجموع تأثيرات مؤسسات التنشئة الاجتماعية سواء كانت بتركيبها حسب المرحلة العمرية، أي بدءا من الأسرة وصولا إلى تكنولوجيا الاتصال وتدفق المعلومة، أو بالنظر إلى درجة التأثير وامكانية تحويل المفاهيم، ومن تم تغير السلوكات وظهور ظواهر اجتماعية قد تكون مغايرة لما يحمله وما يعتبره المجتمع ضبطا كان عرفا أو قانونا وضعيا، أو حتى من مصدر تشريعي ديني، فوجود صور كالافتخار بالانتماء أو حب الوطن والدفاع عنه بكل الطرق، والمساهمة في بناءه بالجهد العضلي والعقلي وتحمل الصعاب والتعامل مع المشكلات الكثيرة والمعاشية اليومية، كالبطالة والسكن وتدني بعض الخدمات بعدم اخراجها من نطاقها، ولن تكون سببا كافيا للقيام بأعمال منافية وسلوكات، كالعنف أو التشهير أو الاحباط، أو التأثير على الآخرين، والتركيز على الجانب الايجابي والاستثمار في المقومات، وكذا الرفع من مستويات التعليم والتكوين، وضرورة الاعتماد على مميزات الأمة من ماضيها كالتعاون والتآزر خاصة بحدوث الأزمات والكوارث، ونشير كذلك إلى نقطة أراها جد مهمة وهي فهم الواقع المعاش، وفهم مجموع التحديات لعدم الوقوع في الخطأ والدخول في صراعات تكون المجتمعات في غني عنها، ووضع مصالح الوطن وممارسة المواطنة الفعلية والواضحة، وتقديم الإضافة والتشاركية للوصول إلى ترسيخ القنوات الايجابية والبناءة، خاصة لدى الشباب وتفاعله بين ما هو موجود ومعاش واقعا، ما هو معروض اعلاميا وكثقافة عالمية، بين ما تعترف به الأمة وبين ما يطلبه الغرب عبر مؤثراته، بين ما يتعلمه في المدارس وما يجده في حياة أفراد المجتمع، بين قول الباحث وما يجده في الدراسات العالمية، وبين ما يشرحه الإمام وما يجده من مفتون من

المذاهب، وبين ما نلبسه محليا ويتوافق مع المناخ والأرض والأصالة، وبين ما يعرض في صالات العرض وما يستورده تجارنا.

المواطنة واجب وحق وقناعة وتفكير وممارسة وعدل، والشباب مصدر القوة والنشاط والسرعة والعمل والأقرب إلى التغير، والجمع بينها ضرورة بحثية وأكاديمية واستراتيجية واقعية سوسيولوجيا واقتصاديا وسياسيا.

قائمة المراجع العربية:

1. ابن منظور. (1993). *لسان العرب*. بيروت: دار المعارف، ص 338
2. أحمد بيضون و مورييس أبو ناظر. (دون تاريخ). *أفكار جديدة لعالم جديد*. دون بلد: دون دار نشر، ص 156
3. أحمد صدي الدجاني. (1999). *مسلمون ومسيحيون في الحضارة العربية الإسلامية*. القاهرة: مركز يافا للدراسات والأبحاث، ص 5
4. الموسوعة العالمية العربية. (1996). *الموسوعة العربية العالمية*. السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ص 311
5. أمحمد مالكي. (2012). *المواطنة في المغرب العربي من أجل تصورات جديدة للمواطنة*. المغرب: مركز الدراسات المتوسطة والدولية، ص 04
6. حجازي مصطفى. (2001). *علم النفس والعمولة (رؤى مستقبلية في التربية والتنمية)*. لبنان: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، 73
7. حسين حسن موسى. (2011). *المواطنة وقيم المجتمع*. مصر: دار الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، ص 84
8. حسين عبد الحميد أحمد رشوان. (2007). *في القوة والسلطة والنفوذ*. مصر: مركز الاسكندرية للكتاب، ص 159
9. زاهر ضياء. (1984). *القيم في العملية التربوية*. مصر: مطبعة نهضة مصر عين شمس للنشر والتوزيع، ص 24
10. سرين السيد. (2012). *استقلالية الشباب بين الحرية والفضوى*. عمان: دون ناشر، 02

11. سعد سليمان المشهداني. (2011). *الاعلان في التلفزيوني وتأثيره في الجمهور*. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ص 97
12. سليمان سعد السليمان. (1998). *اتجاهات نحو الدراسات الاجتماعية*. دون بلد: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ص 108
13. سيد محمد وليد. (2010). *الدولة واشكالية المواطنة*. عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ص 50
14. صباح عباس. (1993). *الانحرافات السلوكية. الأسباب والعلاج*. لبنان: دار البيان العربي للنشر والتوزيع، ص 23
15. عامر رمضان. (دون تاريخ). *التنمية السياسية في البلاد العربية*. لبنان: دار الرواد، ص 56
16. عبد العالي ديلة. (2011). *مدخل إلى التحليل السوسيولوجي*. الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ص 73
17. عزة حجازي. (1985). *الشباب العربي ومشكلاته*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص 51
18. علاء الدين عبد الرزاق جنكو. (دون تاريخ). *المواطنة بين السياسة الشرعية والتحديات المعاصرة*. العراق: جامعة التنمية البشرية، ص 33
19. على خليفة الكواري. (2004). *الديمقراطية والتنمية في الوطن العربي*. لبنان، ط1: مركز دراسات الوحدة العربية.
20. عمار علي حسن. (05 نوفمبر، 2017). تم الاسترداد من دور الاعلام في دعم المواطنة: <http://www.alittihad.ae>
21. فرد ميلسون. (2007). *الشباب في مجتمع متغير*. مصر: دار الوفاء لنديا الطبعة والنشر، ص 18
22. كامل محمد المغربي. (1995). *السلوك التنظيمي (مفاهيم وأسس)*. عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، ص 158
23. محمد الأسعد. (دون تاريخ). *مشكلات الشباب الجامعي وتحديات التنمية*. لبنان: مطبعة العلوم، ص 185
24. محمد العدناني. (1984). *معجم الاغلاط اللغوية المعاصرة*. بيروت: مكتبة لبنان.
25. محمد خلف الشيخ. (1999). *المواطنة الصالحة*. السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية، ص 74

26. محمد سيد فهيي. (2007). *العولمة والشباب من منظور اجتماعي*. مصر: دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، ص 85
27. محمد غيث. (1995). *قاموس علم الاجتماع*. مصر: دار المعرفة الجامعية، ص 56.
28. محمد قاسم القريوتي. (2009). *السلوك التنظيمي (دراسة السلوك الانساني والفردى والجماعي فى المنظمات الادارية*. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ص 109
29. محمد منير حجاب. (2004). *المعجم الاعلامي*. مصر: الفجر للنشر والتوزيع، ص 93
30. حسن محمود. (2006). *الطفل والشباب فى إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية*. مصر: دار المعرفة الاجتماعية.
31. منى مكرم عبيد. (2006). *المواطنة سلسلة مفاهيم*. مصر: المركز الدولى للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، ص 04
32. نجلاء عبد الحميد راتب. (1999). *الانتماء الاجتماعى للشباب المصرى*. مصر: مركز المحروسة للنشر، ص 57
33. نسرين عبد الحميد نبيه. (2008). *مبدأ المواطنة*. مصر: مركز الاسكندرية للكتاب، 142
34. نصير علي. (2004). *التلفزيون الفضائي وأثره على الشباب*. المغرب: المركز الثقافى العربى، ص 217
35. B, B. (1969). *Leadership Opinions Related Characteristics of Salesman*. Nyoyork: McGraw Hill co, p42
36. Britannica. (1992). *Knowledge in Depth*. Britain: University Chicago, p332
37. Munson, B. a. (1979). *the importance of peronal, values in understanding arganizational behavior*, jouranal of human Resource and Management, p15